@ 477 @ وأرجحنت أشجارهما ، ولم تعرض لهما آفة أو نقص ، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث ، ولهذا اغتر هذا الرجل ، وتبجح وافتخر ، ونسي آخرته . ^ (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال مآ أظن أن تبيد ه ذه أبدا * ومآ أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) ^ أي : فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن ، وهما يتحاوران ، أي : يتراجعان الكلام بينهما في بعض المجريات المعتادة ، مفتخرا عليه . ! 2 2 ! فخر بكثرة ماله ، وعزة أنصاره ، من عبيد ، وخدم ، وأقارب ، وهذا جهل منه . وإلا فأي افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية ، ولا صفة معنوية ، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأماني ، التي لا حقائق تحتها . ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه ، حتى حكم ، بجهله وظلمه ، وظن لما دخل جنته . ف ! 2 2 ! أي : تنقطع وتضمحل ! 2 2 ! ، فاطمأن إلى هذه الدنيا ، ورضي بها ، وأنكر البعث ، فقال : ! 2 2 ! على ضرب المثل ! 2 2 ! أي : ليعطيني خيرا من هاتين الجنتين ، وهذا لا يخلو من أمرين . إما أن يكون عالما بحقيقة الحال ، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره ، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة ، فيكون من أجهل الناس ، وأبخسهم حظا من العقل ، فأي تلازم بين عطاء الدنيا ، وعطاء الآخرة ، حتى يظن بجهله ، أن من أعطي في الدنيا ، أعطي في الآخرة . بل الغالب ، أن ا تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه ، ويوسعها على أعدائه ، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب ، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال ، ولكنه قال هذا الكلام ، على وجه التهكم والاستهزاء ، بدليل قوله : ! 2 2 ! . فإثبات أن وصفه الظلم ، في حال دخوله ، الذي جرى منه ، من القول ما جرى ، يدل على تمرده وعناده . ! 2 2 ! أي : قال له صاحبه المؤمن ناصحا له ، ومذكرا له حاله الأولى ، التي أوجده ا فيها في الدنيا ! 2 2 ! ، فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد ، وواصل عليك النعم ، ونقلك من طور إلى طور ، حتى سواك رجلا ، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة ، والمعقولة ، وبذلك يسر لك الأسباب ، وهيأ لك ما هيأ ، من نعم الدنيا ، فلم تحصل لك الدنيا ، بحولك وقوتك ، بل بفضل ا تعالى عليك ، فكيف يليق بك أن تكفر با الذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ثم سواك رجلا وتجهل نعمته ، وتزعم أنه لا يبعثك ، وإن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك ، هذا مما لا ينبغي ولا يليق . ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن ، حاله واستمراره على كفره وطغيانه ، قال مخبرا عن نفسه ، على وجه الشكر لربه ، والإعلان بدينه ، عند ورود المجادلات والشبه : ^ (لكنا هو ا ربي

ولا أشرك بربي أحدا) ^ . فأقر بربوبية ربه ، وانفراده فيها ، والتزام طاعته وعبادته ، وأنه لا يشرك له أحدا من المخلوقين . ثم أخبر أن نعمة ا عليه ، بالإيمان والإسلام ، ولو مع قلة ماله وولده أنها ، هي النعمة الحقيقية ، وأن ما عداها ، معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال ، فقال : ! 2 2 ! إلى ! 2 2 ! . أي : قال للكافر صاحبه المؤمن : أنت وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك ، ورأيتني أقل منك مالا وولدا فإن ما عند ا ، خير وأبقى ، وما يرجى من خيره وإحسانه ، أفضل من جميع الدنيا ، التي يتنافس فيه المتنافسون . ! 2 2 ! ! 2 2 ! أي : على جنتك التي طغيت بها وغرتك ! 2 2 ! أي : عذابا ، بمطر عظيم أو غيره . ! 2 2 ! بسبب ذلك ! 2 2 ! أي : قد اقتلعت أشجارها ، وتلفت ثمارها ، وغرق زرعها ، وزال نفعها . ! 2 2 ! الذي مادتها منه ! 2 2 ! أي : غائرا في الأرض ! 2 ! 2 أي : غائرا لا يستطاع الوصول إليه ، بالمعاول ولا بغيرها . وإنما دعا على جنته المؤمن ، غضبا لربه ، لكونها غرته وأطغته ، واطمأن إليها ، لعله ينيب ، ويراجع رشده ، ويتبصر في أمره . فاستجاب ا دعاءه ! 2 2 ! أي : أصابه عذاب ، أحاط به ، واستهلكه ، فلم يبق منه شيء ، والإحاطة بالثمر ، يستلزم تلف جميع أشجاره ، وثماره ، وزرعه ، فندم كل الندامة ، واشتد لذلك أسفه ، ! 2 2 ! أي : على كثرة نفقاته الدنيوية عليها ، حيث اضمحلت وتلاشت ، فلم يبق لها عوض ، وندم أيضا على شركه ،